تعنيه وحده ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ التي يدعى بها . . . ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾[١] إلحاد النكران أو الشرك بالله، إلحاداً في مثلث الأسماء، ففي اللفظية كأن تختلق ما يعني معنًى تحيد عنه ذاته أو صفاته وأفعاله، من اسم ذات أو صفة ذاتية أو فعلية، وفي العينية أن تتخذ آلهة من دون الله أو تشرك بها الله كالملائكة والنبيين أمن ذا من المقربين إليه، أم من الطواغيت.

وكذلك اعتبار صفاته - وحتى الذاتية - معاني زائدة على ذاته، أو تعني منها مثل ما تعنيه من صفات غيره.

لله اسماء لذاته تعالى فمن ظاهرها «الله» ومن باطنها «هو» وأسماء لصفات ذاته وهي الحياة والعلم والقدرة، ثم أسماء لصفات فعله كسائر أسمائه الحسنى، والإلحاد في شيء منها لفظياً أو معنوياً، كما في الإلحاد في الأسماء العينية المنفصلة كسائر الموجودات، أو التي يوصف هو بها، فالإلحاد في كل ذلك محظور محظور[٢]!

ومن الإلحاد في أسمائه تعالى المنهي عنه في آيته (٧: ١٨٠) أن تتخذ معاني زائدة على ذاته، أم ولها مظاهر من خلقه هي مواليد تلكم الأسماء فتُعبد من دون الله، والمناهي المؤكدة عن عبادة الاسم أو مع المسمى أنها كفر وشرك، لا تعني الأسماء اللفظية حيث لا يعبدها أحد، وإنما تعني المعاني الزائدة على ذاته سبحانه أن تُعبد هي أو مظاهرها إلحاداً أو إشراكاً - يجمعها ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾! إلحاداً لفظياً أو معنوياً أو عينياً[٣].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٠٨.

(٢) من اللفظي أن تسميه بأسماء خاصة لخلقه سواء في اسم الذات أو صفة الذات أو صفة الفعل. ومن العيني أن تظن أحد من خلقه أنه إله في شريكه أو جزئه، ومن المعنوي أن تعني مثلاً من «العالم» علماً كعلم خلقه، أو تتصور له معنى أياً كان، أو تنزهه عن أن تعلم معنى علمه ولكنك تظن أنه زائد على ذاته!

(٣) المصدر السابق.

فلا أن أسماءَه معاني زائدة على ذاته سواء في ذلك الصفات الذاتية والفعلية، ولا أن لها مظاهر تُعبد، كل ما هنالك تجير اللغات كما أسلفناه، أو أسماء عينية هم أفاضل خلقه من رسله وأوليائه حيث يُدعى الله بهم كما أمر: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[1] دونما استقلال لهم في دعائهم، ولا عبادتهم من دون الله!.

فاختلاق أسماء له تعالى قد يعني إلحاداً في أسماء أو إشراكاً، فما التوحيد في أسمائه إلّا التي سمى بها نفسه المقدسة، ولأن أسماءه صفاتُه و﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2] ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[3] فإنهم لا يصفونه إلّا بما وصف به نفسه، فأمثال العلة والواجب وأضرابهما من أسماء فلسفية أمّا هيه؟ من أسماء غير مقتبسة من مشكاة الوحي كلها أسماء إلحادية مهما اختلفت دركاتها! ولسنا نعرف من أسمائه معاني إيجابية كالتي نألفها ونعرفها لأنه باين عن خلقه وخلقه باين منه، وإنما نعني نفي مقابلاتها وهو تسبيح بالحمد فلا الحمد والتوصيف فقط، ولا التسبيح فقط، وإنما تسبيح بالحمد يعني نفي المقابلات للصفات الثبوتية، وإذاً فالصفات الإلهية كلها سلبية مهما اختلفت سلبية سالبة عن سلبية موجبة في تحبير اللغات.

﴿... وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾:

الجهر والإخفات وصفان متضايفان، أترى بعدُهما مطلقاً منهيان، والنتيجة ألّا تصلي أصلاً، حيث القراءة لا تخلو عن جهر ما أو إخفات! أم المنهي عنه من الجهر أعلاه ومن الإخفات أدناه؟ وهذا هو السبيل الوسط المأمور به ﴿وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾! فلا سبيل وسطاً في قراءة الصلاة إلّا عواناً بين عالي الجهر وداني الإخفات.

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٥.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٤٠.

فالجهر المأمور به في جهرية الصلوات، والإخفات المأمور به في إخفاتيتها هما في السبيل الوسط، جهر دون العال وإخفات فوق الدان، فقد يُخفِت لحدٍّ لا يسمع نفسه بأدنى أذن؟ فلا! أو يجهر لحد يسمع البعيدين عنه في أعلى الجهر؟ فكذلك لا[١]، بل ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ و«المخافتة ما دون سمعك والجهر أن ترفع صوتك شديداً»[٢].

ولماذا الجهر العال في صلاتك؟ ألتُسمع ربك؟ وهو أقرب إليك من حبل الوريد: و﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾[٣] أم تُسمع المؤمنين معك؟ فلا عليك إلّا السبيل الوسط[٤]. أم ولتسمع الكافرين؟ وهم بسماعهم أو استماعهم يؤذونك![٥].

---

(١) العياشي عن سليمان عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية قال: الجهر بها رفع الصوت والمخافتة ما لم تسمع أذناك.

(٢) نور الثقلين ٣: ٢٣٣ ح ٤٧٦ في الكافي عن سماعة قال سألته عن قوله الله عزوجل: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسرَاء: ١١٠] قال....

(٣) سورة طه، الآية: ٧.

(٤) المصدر ح ٤٧٧ القمي عن عبد الله بن سنان قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أعلى الإمام أن يسمع من خلفه، وإن كثروا؟ قال: ليقرأ قراءة وسطاً يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾.

(٥) تظافرت الرواية عن طريق الفريقين أنه «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان بمكة جهر بصوته فيعلم بمكانه المشركون فكانوا يؤذونه فأنزلت هذه الآية «نور الثقلين عن العياشي عن أبي جعفر وابن عبد الله عليه السلام.
وفي الدر المنثور ٤: ٢٠٦ - أخرج سعيد بن منصور وأحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه والطبراني والبيهقي في سننه عن ابن عباس في الآية قال: نزلت ورسول الله صلى الله عليه وآله بمكة متوار فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن. ومن أنزله ومن جاء به فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ...﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسرَاء: ١١٠] يقول: بين الجهر والمخافتة وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وآله يجهر بالقراءة بمكة فيؤذى فأنزل الله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾.

ثم ولماذا الإخفات الدان، لحد تحرم نفسك عن سماعه، وأقل السماع في صلاتك أن تسمع نفسك، أم تحرم الذين معك؟ فلماذا وهم في صلاتك صامتون لا يقرؤون، أفحرماناً لهم عن قراءتهم وعن قراءَتك؟، فـ ﴿وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾ وإن كانت تختلف السبيل في جهريتها وأقلها إسماع من بجنبك، وفي إخفاتها فلتسمع فيه نفسك دون جوهرية لصوتك لتسمع، وإنما همسٌ سَمِعه غيرك أم لم يسمع، وكما ثبت في السنة المقدسة الإسلامية.

وترى أن الحكمة في ترك الجهر العال هي فقط التقية عن أذى المشركين، فلا نهي إذاً فيما لا تقية، بل وفيه تعظيم شعائر الله، ولا سيما إذا أسمعت الصلاة بالسماعات والإذاعات؟ علّه نعم! حيث الوارد في الروايات هو هي لا سواها! إذاً فلا محظور في الجهر العال.

أو ترى أن هناك حكمة أخرى على من يجهر علّ الله يسمعه أكثر وأوفى، فقضي على سنة الجهر العال لهذه وتلك لا وحدها ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾[1] ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[2]، ولكنهما تلمحان بالتنديد لمن يجهر عالياً أم غير عال إسماعاً لربه وهو في حد الكفر بالله! وأما الجهر أياً كان لغرض إسماع المؤمنين دون تقية عن الكافرين، ولتعلو كلمة الله وتعظم شعائر الله فلا منعة فيه حسب الآيات! اللهم إلّا ما تلمحه آية الأعراف: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[3] ولكنما الأمر بهكذا ذكر ليس نهياً عن الجهر، والمنهي عنه في آيتنا هو الجهر العال لا مطلق الجهر، إذاً فالجهر الذي لا يخرج المصلي عن حالة الصلاة ممنوح، اللهم إلا الطوارئ تقية أمّا ذا فممنوع.

(١) سورة طه، الآية: ٧.
(٢) سورة الملك، الآية: ١٣.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾:

﴿وَقُلِ﴾ في نفسك وجهراً، إظهاراً لهذه الحقيقة وإجهاراً ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كل الحمد مني ومن كل حامد ﴿ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ بأي معنى من الولادة، حقيقية وتشريفية. لا فقط إنه ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ بعد الأزل، بل ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ منذ الأزل اللّاأول، ولداً وغير ولد، ولماذا شريك في الملك؟ ألعجز عن ملكه، أم ذلك في وحدته؟ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ منذ الأزل اللّاأوّل ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ في نفسك توحيداً ناصعاً خالصاً، وفي الآخرين الذين صغروه باتخاذ ولد أم شريك في الملك أو ولي من الذّل ﴿تَكْبِيرًا﴾ يجتث جذور الإشراك عن بكرتها، ويبلور التوحيد عن كل شائبة آئبة من مختلقيها.

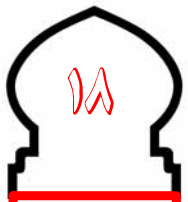

سُورَةُ الْكَهْفِ

مكية وآياتها عشر ومائة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾

المحور الرئيسي في الكهف هو تصحيح العقيدة وتثبيتها وإصلاح المنهج الفكري والنظري وإقامة القيم القيّمة بميزان الله، فيها ابتداء بالحمد لله منزل الكتاب القيم الحاوي تلكم القِيَم، وانتهاء بالعمل الصالح ونفي الشرك، وبينهما قصص منقطعة النظير في سائر القرآن ترأسها الكهف وتختمها قصة ذي القرنين وبينهما قصة الجنتين، وقصة موسى مع خضر، وإشارة إلى قصة آدم وإبليس، وهذه القصص تستغرق إحدى وسبعين من عشر ومائة من آي

السورة، ثم وما تتبقّى منها تعقيبات على قصصها وإلى بعض مشاهد القيامة وسائر الحياة أم ماذا من مذكرات هذه القصص، فإنها ليست مجرد قصص تروى، بل هي حقائق تاريخية تُلقى كدروس منضجة للعقول منتجة في كل الحقول لمن ألقى السمع وهو شهيد.

ولماذا قصة الكهف بين قصصها تختص اسم السورة بنفسها؟ لأنها كهف لمن يفر بدينه، كهف للمتمسكين بالتوحيد، المستقيمين فيه، المحافظين عليه، والتوحيد هو حجر الأساس فيما يتبناه القرآن في سوره كلها، فلتكن هذه كهفاً بينها.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تستغرق كل حمد من كل حامد ولكل محمود فتحصره في الله، لأنه الله، وتحسره عمن سوى الله لأنه سوى الله، ثم لأنه ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كما في فاتحة الكتاب، ربوبية تكوينية وتشريعية للعالمين ككل، وهنا لأنه ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فإنه كأنه هو ربوبيته كلها، فإنه الغاية القصوى من خلق الكون بمن فيه العالمون، فالحمد لله لأنه ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ كالحمد لله لأنه ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾!

و﴿أَنزَلَ﴾ اللّامحة بنزول دفعي كما التنزيل هو التدريجي - لا يعني هنا نزوله في ليلة القدر حيث الغاية المعنية هنا ﴿لِّيُنذِرَ... وَيُبَشِّرُ﴾ لا تناسب إلّا تفصيل الكتاب المنزل، اللهم إلّا اعتباراً للكتاب المفصل أمراً واحداً طيّاً عن طول الزمان وعديد النزول، بل ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ ككل.

ولماذا ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ لا محمد ولا الرسول؟ علّه للتدليل على الشرط الأصيل في ذلك الإنزال التنزيل وهو العبودية القمة، فبإنزال الكتاب على عبده تحصل الرسالة!.